

## الحلقة (٢٣)

❖ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ۝﴾.

في قول الله عز وجل: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ نأتي إلى القراءات.

❶ قرأ ﴿فَأْذَنُوا﴾ بهمز القطع وبفتح الذال وبكسر النون، وقُرى أيضاً {فَأَذَنُوا}.

❷ قرأ جمهور العلماء ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي كونوا على إذنٍ، من قولك (إني على علم).

وحكى أهل اللغة أنه يقال: (أَذْنْتُ بِهِ إِذْنًا) أي علمتُ به، ومعنى الآية على هذه القراءة فاستيقنوا الحرب من الله تعالى وهو بمعنى الإذن.

❸ وقرأ حمزة وشعبة ﴿فَأَذَنُوا﴾ أي فأذنوا غيركم، والمعنى فأعلموا (بكسر اللام) من لم ينته عن الربا بحربٍ من الله ورسوله، وإذا أمروا بإعلام غيرهم فهم أيضاً قد علموا ذلك، لكن ليس في علمهم دلالة على إعلام غيرهم.

إذاً قوله تعالى في القراءات ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وكما يقول بعض المفسرين: في معرض العناد لم يأتي تهديد ووعيد كما جاء هنا، أن يعلم هو نفسه ويعلم غيره أنه يستعد لحرب الله عز وجل فهذا لا يطيقه أحد.

نحن نعلم أن العقوبات كلها الله عز وجل حدد ونص على عقوبات محددة ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ۝ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ۝ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ۝ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ إلى آيات كثيرة، لكنه هنا إعلان الحرب من المرابي لله عز وجل، فهذا مرابي إن (بلسان الحال) وإن (بلسان المقال) إن أعلن الحرب على الله عز وجل فعليه مادام أنه استعد للمنازلة، واستعد للوعيد، ومادام أنه استعد لتلك المعركة التي لا شك خاسرها، لماذا؟ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يا أيها المرابي إن لم تنته وأعلنت الحرب من طرف واحد فعليك أن تختار المعركة ولا تختار وقتها، لأن الوقت بيد الله عز وجل، والإنسان لشقائه قد يفعل هذا وما أكثر ما يشقى الإنسان {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} وقد يفعل الإنسان لشقائه قال:

{ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) } وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ } فإذا الإنسان قد يتهيا أو يهيئه الشيطان لأنه يعتقد بأنه أقوى من كل شيء { فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) } فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ { ريحاً شديدة لا يذكر، نحسات: باعتبارهم هم لأنهم يعدونها } لِئَذْيَقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ }.

إذاً يأيها المرابي عد وثب وتب إلى رشدك، وإياك ثم إياك أن تعتقد وأنت واهم، وأن تظن وأنت واهم أن الله عز وجل قد أخلف وعده؟ لا، فقد فتح باب التوبة، ومن أسمائه الحليم سبحانه وتعالى، فعد، وإن لم تعد فبلسان الحال أو المقال فأذن بحربٍ من الله عز وجل يوماً إن كانت الحرب مالية، فالمال قد تسهم به في مضاربات عالمية فالمؤشر إذا به يعود إلى اللون الأحمر كما يقولون، وعندها يدرك هذا أن الحرب ليست حرباً يختارها ويقررها هو، لا، إنما حربٌ أنت اخترتها فتتحمل تبعاتها ونتائجها وأنت الإنسان الذليل الضعيف الخاضع، عندها تندم ولات ساعة مندم، وتقول ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ويا ليتني لم أرابي، ويا ليتني لم أخالف الآيات التي جاءت متوعدة المرابين، إذا هاتان القراءتان الواردتان في قوله تعالى: ﴿فَأَذْنُوا﴾.

#### ❖ المناسبة:

أنه تعالى لما بالغ في وعيد المرابي أتبعه بهذا الوعيد ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُزِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧).

#### ❖ سبب النزول

❖ سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: إنها نزلت في العباس بن عبد المطلب ورجلٍ من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية يسلفان الربا إلى ناسٍ من ثقيف، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فنزلت الآية. وهناك روايات أخرى، ولاحظوا أن النداء بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يؤكد أن المنادى مؤمن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وكما بدأ النداء انتهى بالإيمان.

#### ❖ مفردات الآية:

﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾: أي ما أمرتم به من الالتقاء وترك ما بقي من الربا. ﴿قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وتم تنكير لفظ ﴿بِحَرْبٍ﴾ للتعظيم، وزادها تعظيماً نسبتها إلى اسم الله الأعظم وإلى رسوله ﷺ الذي هو أشرف الخلق.

﴿ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

ميسرة فيها قراءتان، وهما لغتان:

﴿ قرأ الإمام نافع المدني ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ بضم الميم.

﴿ أما الباقون فقرأوا ﴿مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح الميم.

إن الربا إذا دخل مكاناً قضى على أهله من أسهم، فالربا في ظاهره الكثرة، وأما باطنه فالقلة عينها، فلا تقوم للأفراد قائمة إن هم رابوا، ولا تقوم للمجتمعات قائمة إن هم تعاطوا الربا، ولا تقوم للكيانات والدول قائمة إن هي تعاملت وتعاطت بالربا.

فالربا متوعدٌ عليه بعقوبة وعينها وسمعتها وعرفناها وتلونها، إذا كان المرابي مسلماً مؤمناً تقياً فالله عز وجل ناداه، بل قدم سبحانه وتعالى إغراءً له ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ كأن الآية تقول يا من وقعت في الربا عد إلى حظيرة الإيمان، إنك إن عدت إلى حظيرة الإيمان فأنت لك خدماتك السابقة، لك ما قمت به، لك صفحة جديدة بيضاء ﴿ فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ والله عز وجل رحمة منه وفضلاً يعطي هذا الثواب.

ثم النداء ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ يقال مما يروى هنا أن الخليفة العباسي المأمون استولى على أرض أشخاص، فجاءه أصحابها فدخلوا عليه، وهو كان ذا عقلٍ، فقال لهم المأمون: "أتنازعون أمير المؤمنين في أرض هي له؟" قالوا: "يا أمير المؤمنين ليست لك" فنهزم وزجرهم وأخرجهم، وإذا هم خارجون تكلم أحدهم فقال: "يا أمير المؤمنين إنا لشاكوك؟" قال "إلى من تشتكون أمير المؤمنين؟ قال "إلى الذي لا قبل لك به إلى الله عز وجل بالأسحار" قال لهم: "قفوا إنها لكم".

فمن ذا الذي يقوى على محاربة الله عز وجل، ومن ذا الذي يسمع هذه القوارع والصوداع ويقول كأن المخاطب غيره؟! لا بل أنت المخاطب، إن أبيت إلا أن تسير في الطريق نفسها تيقن أنك قد أعلنت إعلاناً يعرفه الجميع من خلال المعاملة أعلنت الحرب على الله عز وجل ﴿ فَأُذِّنُوا بِحَرْبٍ ﴾ أي حرب، هل هي اقتصادية؟ نعم، حرب نفسية؟ نعم، حرب أسرية؟ نعم، حرب دولية؟ نعم، حرب مع الجن؟ نعم.

إذاً على الإنسان المرابي أن يعود إلى الله عز وجل معلناً توبته وأوبته من هذه الجريمة البشعة النكراء التي لا يفعلها إلا الكافرون، والله لا يحب كل كفار أثيم، ولا يفعلها إلا الآثمون والله لا يحب كل كفار أثيم.

﴿ وَإِنْ ثُبُتُمْ ﴾ من العمل الشنيع الذي تقومون به ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾

(٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ.

◀ إذا لاحظوا بارك الله فيكم أن هذه الآيات كلها جاءت عقب النفقة ﴿قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ إلى قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

إذا أيها المرابي لا تخادع نفسك، عد إلى حظيرة الإيمان، واعلم وأيقن أن الصدقة المقبولة عنده سبحانه ما جاء في الآيات السوابق، أما هذه الآيات وما فيها من زواجر ومن قوارع فهي تدل على أنك إن حاولت أن تستفيد من الربا فالمشاكل تأتيك من كل صوب، مشاكل نفسية، صحية، أسرية، اجتماعية، في الحياة كلها، بل إن بعض المرابين من أرباب المال يتمنى أنه لو خرج من الحالة التي هو فيها إلى حالة الفقراء على أن يسعد ويهنأ في حياته، وصدق الله العظيم ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعٌ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا تَعْقِلُونَ﴾. إذن نخلص إلى أن هذا المال يؤخذ من حله ومن بعده وأبوابه كثيرة بل أبواب الحلال أكثر من أبواب الحرام، وأما باب الحرام فهو ضيقٌ وواحد، أقصد واحد في هذه الآيات وهو باب الربا، وعلى المسلم أن ينتهي عن الربا ويدع الربا ويتركه ليلتحق بأولئك المنفقين الذين ينفقون بالليل والنهار سرّاً وعلانية يبتغون الأجر والمثوبة عند الله عز وجل، فهنيئاً لهم، وسحقاً للمرابين في كل مكان.